- ١٢ -

«واعبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقين»

قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، الذي سمعت في هذه القصة من أنباء الغيب أنت ما كنت تدري عنها، هل وجدت ذلك في كتاب، أو أخبرك أحد به، فأنت لم تحضر القصة أصلاً، ولم يحضر القصة أحدٌ من أصحابك، وما سمعت أنت من البشر، نحن علمناك عن طريق جبريل، ذلك القصص الذي سمعت، وقصة يوسف والكلام هذا من أنباء الغيب، يعني أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أطلعه جل في علاه على أنباء الغيب، ولم يطلعه عليه أحداً من البشر، وإنما يطلع من يشاء من رسله، ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، لا يدري ما في الغد إلا الواحد الأحد، ولا يدري ماذا صار إلا الله، ولا يدري ما في الضمائر إلا الله، ولا يطَّلع على السرائر إلا الله، فالله يعلم الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول: نوحيه إليك، يقول: أوحيناه إليك وانظر إلى الشرف إلى محمد ﷺ أن يختاره من بين الملايين من العباد، هذا الشخص الكريم، يوحي إليه بالقصص والأحكام، والحق والعدل، والأخلاق والآداب والسلوك يوصله سبحانه وتعالى إليك، يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ فأنت لم تحضر معهم يوم تشاوروا، وذهبوا إلى الصحراء ليرعى معهم، ولم تحضر معهم عند الجب، ولم

تحضر معهم في القافلة لما ذهبت به من فلسطين إلى مصر، ولا كنت معهم إذ فعلوا ذلك، هذا كله من أنباء الغيب، ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾، لما جلسوا يمكرون بأخيهم، فأنت لم تحضر هذه القصة حتى يقول لك كفار قريش: عندك خبر؛ لأنك جالس معهم، فمن أخبرك أصلاً هذه القصة، فهي لم تكن موجودة في الكتب قبلك، فمن أخبرك إلا الله؛ لأنه أراد أن تكون نبيّاً ورسولاً، هذه معجزة، قال: ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ**﴾، من هم؟ قال: إخوان يوسف ما استمعت لهم، قال: ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ**﴾، يعني يمكرون بيوسف، ويمكرون بأبيه عليه السلام، يخططون ويدبرون ينسجون ويتآمرون، الآن أخبرناك بكل وقفة، وأخبرناك بما حدث في الجب وفي السوق عند القافلة، وفي بيت العزيز، وفي السجن وبعدما خرج، وبعدما وضعوا الصواع في رحل أخيه، وأخبرناك بالنتائج والالتقاء، إذًا ما كنت لديهم حتى تُتهم بل هو وحي من عند الله، ثم يقول سبحانه: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ يقول لا تتعب نفسك، صحيح أنك حريص على هداية الناس؛ لأن الرسول حريص كما وصفه ربه، قال له سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ فهو حريص على هدايتنا، حريص على نجاتنا، حريص على رحمتنا، حريص أن نهتدي، وأن نتبعه حريص على ألا نُعَذَّبَ ﷺ قال: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ**﴾، ترى أكثر الناس كفرة، أكثر الناس فجرة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ وعبر بالشكور بدلاً من الشاكر، لأن صيغة مفعول تدل على الشكر قبل النعمة وبعدها.

قال سبحانه: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ هذا الكلام وهذه الرسالة أصلاً، لما يعرض كفار قريش، لماذا لا يعطونك فرصة أن تُسْمِعَهم الحق، لماذا لا يجلسون معك حتى تتلو عليهم البيان من عند الواحد الأحد، أنت تسألهم أجرهم هل دفعوا لك أموالاً؟ فأجرك إنما يكون على الواحد الأحد، فكل الأنبياء يقولون لأقوامهم: وما نسألكم عليه من أجر، من لدن نوح - عليه السلام - إلى محمد - عليه الصلاة والسلام -، لا تعطونا أجرًا، ولا نريد منكم جزاء ولا شكورا، ولا نريد من أموالكم شيئًا، وهذه هي الرسالة لا تسأل الأجر، فالأجر من عند الواحد الأحد.

قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يقولون: هؤلاء غافلون، كم من آية نمر عليها صباح ومساء، والناس أكثرهم غافلون عن آيات الله، وكأين يعني: كم من آية في السموات والأرض؟ كم من مخلوق؟ كم من أعجوبة؟ كمن من بديع صنع؟ يمر عليها العالم وهم عنها معرضون؟ أين هذه الآيات في السماء وأنت تشاهدها بنجومها وشمسها وقمرها، سبحان من رفع، سبحان من أبدع، سبحان من صور، اخرج من المدينة إلى الصحراء واخرج في الليل وانظر إلى النجوم من كوكبها؟! من رفعها؟ هناك الجوزاء والثريا تدلك على لا إله إلا الله، الصباح يأتيك رويدًا رويدًا، الضوء ثم الشمس ثم تمشي بمقدار، ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، الليل وهو يقبل يجتاح العالم بِرِدائه يغطينا الليل أقبل علينا، آيات من آيات الواحد الأحد، في الجبال وهي تغوص في

الأرض، هي تُثَبِّتُ الكرة الأرضية، ثلثاها في الأرض والثلث مثل الناب خارج وموزع على الكرة الأرضية لئلا تميل بنا، لئلا تتأرجح، في الهملايا في الأطلس العربي كلها موزعة بقدر من الواحد الأحد، الماء الذي نشربه لا لون ولا طعم ولا رائحة منْ خلقه؟! من أوجده؟! ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾، في الهواء إذا توقف علينا مُتْنَا، ويرتفع فلا يزيد ولا ينقص، السمك وهو في الماء يعيش عيشة أخرى، عالم آخر، عالم الأسماك آلاف الفصائل من عالم الأسماك تهاجر وتبيض، وتأكل وتتنفس، والله هو الذي خلقها في عالمها، ماذا في عالم الطير في الهواء، ولا طائر يقلب جناحيه يقبض ويمسك، بتدبير من الواحد الأحد سبحانه، ماذا في الآيات كلها -جل في علاه- تقدست أسماؤه لا إله إلا الله، الماء في الجدول والغدير في الخمائل في الجداول في كل شيء له آية.

فيا عجبًا كيف يُعْصى الإلـ

ـهُ؟! أو كيف يَجْحدهُ جَاحِدُ

وفي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ

تَدُلُّ على أنَّهْ واحِدُ

عالم النمل مملكة النمل كيف تعيش؟ كيف تبيض؟ كيف تخزن قوتها؟ أذكر لك ثلاثة أسطر سريعة عن النمل أولها: النمل تأخذ الحب، وتأخذ القوت في الصيف وتدخره إلى الشتاء، هي لا تأكل منه شيئًا حتى يأتي فصل الشتاء من علَّمها؟! إنه الواحد الأحد،

تجعله في المخازن في بيوتها، ولو أَخَذَتِ الحب في بيتها الطيني لنبت الحب، فإنها تأتي إلى الحبة فتقسمها نصفين حتى لا تَنبت، فتجعل النصف في المخزن، والنصف لا ينبت هذا الثاني، أن النملة إذا أرادت أن تمر بماء نبع صغير عملت هي وأخواتها حاجزًا ثم مدته، وهذا معروف ثم مشت عليه، ثم تسحب الشبك إلى الجهة الثانية لكي تعبر من علمها؟ إنه اللطيف الخبير، ونحن نشاهد أحياناً النملة تسحب جرادة، وإذا لم تستطع أن تسحبها سارت إلى أخواتها وأعطتهم إشارات ضوئية للمساعدة ويأتي معها من يساعدها على سحب الجرادة حتى يدخلونها إلى بيتهم، مَنِّ علمها؟ إنه اللطيف الخبير، عالم النحل من علم النحلة أن تمشي إلى الوديان وتأخذ الرحيق من الزهرة وتأتي إلى الخلية وتضع العسل، وضع أمامك ألف خلية في وادٍ وأطلق النحل، تجد أن كل نحلة عادت إلى خليتها دون أن تخطئها، فمن علمها ذلك، فالنحلات تتبع سيدها، ثم هناك عاملات لا يخرجن بل يؤتى لهن بالرحيق، والزهر والورد فيجلسن يعملن منه الشمع والبناية من داخل الخلية، أنت إذا وضعت الخلية بشكل دائري بنى النحل الخليلة على شكل دائرة، إن وضعتها سداسية أعطاك النحل شكلاً سداسيًا، وإن أعطيت النحل مربعاً أعطاك شكلاً رباعيّاً، من الذي علمها من الذي هداها من الذي خلقها؟ إنه الواحد الأحد جل في علاه وآيات لا تنتهي أبدًا، السلحفاه انظر لها الآن تضع بيضها في الرمل بعيد عن الماء، يفقس الصغير فينطلق سريعًا بإذن الواحد الأحد إلى الماء حتى يغرق فيه؛ لأن الله أعطى كل شيء خلقه ثم

هدى، عجائبه لا تنتهي تدل على السميع البصير، يقول سبحانه ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ لماذا أكثرنا معرضون الآن لا نتفكر، أشغلتنا أعمالنا أشغالنا وشهواتنا ومتطلباتنا عن هذا الكون المفتوح، عن هذا القدرة البديعة للواحد الأحد، فأكثر الناس معرض حتى لو قلت له: يا أخي انظر في النجوم، تأمل قدرة الواحد الأحد، يقول عرفناها من زمان، هل أثرت في حياتك، وأثرت في نفسك؟ هل بكت عينك؟ هل دمعت عينك؟ لو خلا إنسان وحده وتفكر في مخلوقات الله ودمعت من عينه دمعة حرمه الله عن النار، هذا الرجل الذي يدمع دمعة واحدة يظله الله في عرشه يوم لا ظل إلا ظله، «... **ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»، آيات لا تنتهي، تفكر في الصحراء وفي السماء وفي الهواء، وفي آيات الله، وفي الكون ما تنتهي أبدًا في عالم الحيوان عالم النبات، وعالم الأجرام والأفلاك، تعالى الله لا إله إلا هو سبحانه، ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾.

قال بعض المفسرين: لا يؤمن الكفار في الظاهر إلا وهم مشركون في الباطن، وقيل: إذا آمنوا أنه الخالق الرازق سبحانه فإنه مشركون في عبوديتهم، يؤمن كفار قريش أن الذي خلق الخلق هو الله، الذي رزق الناس هو الله، لكن إذا قيل لهم: وحدوا الله واعبدوا الله، قالوا: لا، قال: وما يؤمن أكثرهم هذا من معاني المفسرين، لا يؤمن بالله الخالق الرازق إلا وهم مشركون في عبوديته وألوهيته، وقال بعضهم بل لا يؤمن المنافق في الظاهر إلا وقد كفر في الباطن، تجده أحيانًا: يصلي؛ لكنه يكذب في الباطن،

يوجد الآن من يلحد في الله عز وجل من الجيل هذا، من بني جنسنا يشك في الرسالة الرسول ﷺ، وقال بعضهم، لا يخلو أكثر الناس من شرك كما وصف ﷺ.

من يكون الإنسان بقوته؟! الكرة الأرضية بما تراها الأن تزلزل بكلمة «كن» من الواحد الأحد فيقول: ﴿**أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ**﴾ يعني أمر مجلجل يفشى أسماعهم وأبصارهم يجلجلهم ويأخذهم من عذاب الله، أو تأتيهم الساعة بغتة قال: فجأة كل نبي وملك من الملائكة لا يدرون متى الساعة ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى**﴾، الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الساعة، لا محمد ولا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل لا يدرون متى الساعة، الله عز وجل علم سر الساعة وقتها سبحانه في زمان في لحظة يقيم الساعة، وينهي العالم، وتقوم القيامة لا يعلم أحد، كلنا لا نعلم مهما صار العلم.

قال: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، يا للروعة هذ الآية جامعة مانعة كافية شافية يقول نبينا محمد ﷺ: هذه سبيلي، هذه سبيل الدعوة حتى أموت، سبيلي واضح، أنا عندي أدلة من الله عز وجل، أنا أدعوكم إلى الله، لا إله إلا الله، هذه سبيلي هذه وظيفتي، ما عندي وظيفة ثانية، ولا عندي مناصب أخرى، أنا أكبر ما أرسلت به أن أكون داعية، تدرون أشرف منصب في الحياة هو منصب الداعية ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي**

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أتدرون ما أجر الداعية؟ الله في سمائه وملائكته وحملة عرشه حتى النملة في جحرها، والحوت في الماء، والطير في الهواء، يصلون على من يعلم الناس الخير، يصلون عليه ويدعون له، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، صلاة الله الرحمة والرضوان، وصلاة الملائكة أن تدعو له، بعض العلماء: يكفي منصب الداعية أن يذكر الهدهد في القرآن؛ لأنه أكبر داعية لما أُرسل إلى بلقيس تكلم أني داعية إلى سليمان ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾، وأصبح فصيحًا ومتحدثًا، وسمعه سليمان وعذره، أنكر على بلقيس وألقى محاضرة في التوحيد في سورة النمل، قال: الهدهد تعجب من أمرين: تعجب من امرأة تحكم الرجال، والثاني: يقول كيف يعبدون الشمس؟ والله خلق الشمس. الهدهد يقول: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ الملكة تحكم اليمن، أين الرجال؟ ونحن لا نقول في المرأة شيئًا، المرأة لها أثرها في الحياة، المرأة أُمُنا، وأختنا، وبنتنا، لكن لا تحكم الدولة، يقول الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، أعوذ بالله ما الشمس؟ الشمس مخلوق يغيب ويظهر. الله لا يزول ولا يحول جل في علاه، هو الذي خلق الشمس والقمر، هذا لما صار داعية شرفه الله. فالرسول هو الداعية الأعظم، وهو سيد الدعاة يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أنا سبيلي أن أدعو إلى الله ليلاً ونهارًا، الرجال النساء، في السفر في الحضر، يا أخي: اجعل من نفسك داعية، الآن أنت اجعل شغلك الشاغل داعية، قال: ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، فكل من اتبع محمدًا فهو

على بصيرة، وهذه بشرى، لكن كل بحسبه، هي نسبة واحد على عشرة، واحد على تسعة، واحد على ثمانية، وهكذا فكلما اقتربت من اتباع الرسول ﷺ بقدر اقترابك من اتباعه فلك نسبة من هذا، فالبصيرة التي معك بقدر ما أخذته من النور الذي أخذته منه عليه الصلاة والسلام، قال: أنا ومن اتبعني، أحباب رسول الله هم أتباعه، ومن ادعى محبته ولم يتبعه فهو كاذب، ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾، أحب الناس إلى الرسول ﷺ أكثرهم اتباعًا له، الولي هو من أَكْثَر اتباع الرسول والتزم مسيرته وأخلاقه وعبادته ﷺ، قال سبحانه: ﴿**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ سبحانه تقدس الله، تنزه الله عما يشرك به شيئًا، حتى الأنبياء خافوا من الشرك، حتى الأنبياء خوفهم من الشرك، وأعظم ذنب في العالم الشرك، وأكبر خطيئة في المعمورة الشرك، وأجرم جرم في الدنيا الشرك ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**﴾ ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ شرك في العبادة يعبد غير الله، أو يدعو غير الله، كمن يتضرع عند القبور ويدعوهم بالحاجات، كمن يذهب إلى السحرة والكهنة والمشعوذين، كمن يعتقد في الكواكب أنها مؤثرة، أو في النجوم كمن يقدم النذور والذبائح لغير الله سبحانه وتعالى، كمن يصرف شيئًا من العبادة لغير الواحد الأحد، هذا لا يقبل عمله ويحبط عمله وهو من الخاسرين، ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ قال سبحان الله: ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ**﴾ أصلاً ما نزَّل الملائكة، هم مثلك من أهل القرى، عندهم ذرية وعندهم زوجات ويسكنون في بيوت، ويأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، يبيعون ويقفون مع الناس، لكن الله ميزهم بالعصمة والرسالة فهم أنبياء بشر؛ لأنه لو نزل علينا ملك كنا قلنا: لو أنه بشر لاتبعناه، لكن ما دام أنه ملك فله قدرات خارقة أصلاً، نحن لا نقدر أن نتبع ملكًا، انظر إلى كفار قريش، قالوا: لو نزل ملك، ولو نزل ملك قالوا: ما نتبعه؛ لأنه ليس منا، وإن جاء منهم قالوا: هم منا أصلاً الواجب أن يأتي من غيرنا، ولو جاء من غيرهم، لقالوا: لا نريده؛ لأنه جاء من السماء، إذًا ما تريدون؟ يقول: إن كنتم تعتبرون، فمحمد - صلى الله عليه وسلم - من مكة من القرى، فالرسل كلهم من آدم ونوح وإبراهيم، هم بشر من أهل القرى كما وصفهم سبحانه وتعالى قال أهل العلم: إن النساء لا يكون منهم نبيًا ولا رسولاً، وخالف ابن حزم الظاهري غفر الله له، قال: مريم كانت نبيًا، قال أهل العلم: يقول سبحانه ﴿**وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾، ما قال: نبية أمه صديقة، أما الوحي فهو الوحي الخاص الذي أوحاها الله إليها، لكن لم يرسلها كما أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولم ينبئها الله عز وجل، فهي امرأة لم تتبأ، إذًا الأنبياء رجال، لكن يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً**﴾ لأن الرجال أكفأ وأصبر؛ قد تكون النساء أفضل من بعض الرجال، لكن في النبوة ﴿**رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم**﴾ يعني: ليس من أنفسهم يقترحون النبوة، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً**

نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقول: لماذا لا يسير كفار قريش وينظرون في البلدان والأقاليم ويسافرون إلى الشام وإلى العراق، ألم يروا القرى التي دمرناها لمّا أعرضوا عن منهج الله؟ أما رأوا ما فعلنا في الأقاليم لمّا انحرفت عن كلمة الله ورسالته، أما رأوا ماذا فعلنا بأعدائنا؟! هم رأوا بيوتهم ﴿**وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا**﴾ هم رأوا قرية قوم لوط، ومدائن صالح، ورأوا الأحقاف ورأوا إرم ذات العماد، هذه ممالك موجودة، هذه بيوت، ورأوا كفار قريش، إنها أماكن موجودة، إنها أمم أهلِكت، قالوا: لماذا لا يعتبرون؟ مصائب.

ثم قال سبحانه: ﴿**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ يقول هذه الدنيا وما فيها من متع زائلة، ولو انتصر فيها الباطل هذه منتهية أصلاً. قال: ﴿**وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾، والله إنها خيرٌ وأبقى، وإنها أحسن، وإنها أمتع وإنها أجمل، الآخرة لمن اتقى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا وصب ولا نصب ولا مرض، لا همَّ لا غَمَّ لا هرم لا سقم، في جوار الواحد الأحد في زمان في سلام في حفظ ورعاية، فالتكاليف العبادية تسقط، لا صلاة لا صيام لا حج لا عمرة تسبيح كالنفس، نعيم لا ينتهي، نظر لوجه الكريم، نسأل الله لنا ولكم ذلك أفلا تعقلون؟ أين عقولكم لو عندنا عقولنا ما لهونا وغفلنا وقدمنا مطالبنا الدنيوية، ومجاملات اجتماعية على مطلوب الواحد الأحد، أفلا تعقلون، أين العقول؟.

قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يقول أهل العلم: حتى إذا استيأس الرسل، قال بعضهم: حتى إذا يئس الرسل من إجابة قومهم لهم. هذا القول الراجح، أي: أن الرسول ييأس من قومه أن يتبعوه قال: فلا يوجد هناك استجابة لي من قومي، وبعضهم أن الرسل يستبطئون النصر لتأخيره، واستدل بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ لكن الأرجح القول الثاني، قال: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ في الآية معنيان: قيل: إنهم قد كذبوا فظنوا أن قومهم كذبوهم فلم يؤمنوا بهم، وقال: وظن قومهم أن الرسل كَذَّبوهم وليس عندهم رسالة، ظن القوم أن الرسل كذبوا عليهم، فليس عندهم رسالة أو نبوة، إنما هم من أنفسهم اقترحوا عليهم ذلك، وظنوا أنهم قد كذبوا، الآن وصل اليأس ووصل الضيق، وقال: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، فالنصر يأتي بعد الضيق بعد الشدة، وهذا من الرسالات الكبرى، والدعوة أنه لا بد أن تجد من يستهزئ بك. فيقول سبحانه: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ﴾، فالنصر يأتيك متى كنت مع الله، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، والعاقبة للأنبياء دائمًا الآن، لمَّا اصطدم موسى وفرعون كانت العاقبة لموسى، نوح وقومه نجا نوح وغرق قومه، صالح، هود كلهم نجو، محمد نوح عيسى كلهم كانت لهم العاقبة، كانت الدائرة على أعدائهم، قال: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لا إله إلا الله يا له من بأس، أخذه سبحانه متنوع، يأخذ مرة بالصيحة، ومرة

بالحاصب، ومرة بالفاسق، ومرة بالطوفان، ومرة بالمرض، ومرة بالزلزال، ومرة بالبركان، ومرة بالإحراق، ومرة بالريح جل في علاه؛ لأنه يتحكم في الكون بكلمة «كن» ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. انتهى الكلام الآن اسمعوا ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ هذه خاتمة السورة من عنده عقل يعتبر، فمن عنده ذرة تفكير وضمير يمتثل هذه السورة وغيرها من سور القرآن، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ كما يقول سبحانه: والله إنها عبرة لمن كان له قلب، لمن عنده يقين وتخلى عن الملهيات التي أخذت أوقاتنا وعقولنا وقلوبنا، وصرفتنا عن القرآن، وصرفتنا عن أحسن القصص، وصرفتنا عن منهجنا الرباني، صرفونا بقصص خيالية، وكتب في السوق تباع لا تسمن ولا تغني من جوع.

قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾، يعني حديثًا مختلفًا يعني: هذا الحديث لم نختلقه بل هو الحق لا زيادة ولا نقصان؛ لأن الله الملك الديان، الملك الرحمن تكلم بهذا القرآن، فقوله حق، وكلامه حق، ووعده حق، وخبره حق، وقصصه حق؛ لأنه حق يحق الحق لا إله إلا الله.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فكل الكتب صدق، التوراة والإنجيل والزبور، فهي جاءت مصدقة للقرآن أيضًا لكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء في إحكام، كل شيء، بدءًا من أصول الأحكام والملل والأخلاق الآداب السلوك والعبادات في القرآن وغيرها ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وتفصيل كل شيء موجود وهدى يهدي به الله من يشاء، أحسن ما يهديك أن تقرأ القرآن بتدبر

وأن تفهم معانيه، وأن تسأل عنه، يمر بك يوم واحد وأنت ما سألت عن تفسير آية.

أسأل الله العلي القدير أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء همومنا وغمومنا، نسأله أن يجعله شافعًا لنا مشفعًا، فاللهم اجعله شاهدًا لنا لا شاهدًا علينا، حجة لنا لا حجة علينا، نسأله أن يجعلنا ممن يقرؤه حق قراءته، ويتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وأن نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، نحل حلاله ونحرم حرامه، نسأل الله أن يجعل القرآن سميرًا لنا وأنيسًا ورفيقًا وصاحبًا ومؤنسًا في الوحدة، وفي القبر، ومنجيًا من غضب الله وعذاب الله، ونسأله -سبحانه- أن يجعل هذا القرآن حجة لنا عنده يوم العرض الأكبر ليأخذنا إلى جنات النعيم، ويدخلنا الفردوس الأعلى، ويوقفنا مع الصالحين مع الأنبياء مع الصديقين مع الشهداء مع الأبرار. نسأله عَزَّ في علاه أن يتقبل منا ومنكم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.. اللهم آمين.

فوائد وعِبر من قصة يوسف

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

مسكين من لم يتدبر القرآن، مسكين من لم يأخذ بعبر القرآن، مسكين من أضاع نفسه وحرمها لذيذ الكلام، وحلو البيان، مسكين من عمي بصره عن الدرب، وعميت بصيرته عن الطريق، فأكبر شافع وهادٍ، وأيسر طريق وأسهله للفلاح والنجاة هو القرآن، فشدَّ المئزر، واغتنم الوقت، وبادر بالعمل، عسى أن تكون لك حظوة، وعند خالقك منزلة، ومن سور هذا الكتاب المبين، والحجة البالغة، والمعجزة القاهرة، سورة يوسف التي حفلت بالكثير من الفوائد والعبر ومنها :-

١ - أن القرآن منزل وليس مخلوقًا، **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**.

٢ - أن قصص القرآن أحسن القصص في التاريخ، فليس له شبيه، ولن يأتي مثله نظير، ففيه المتعة والتشويق، والأدب والبلاغة، والإثارة والانتظام، والإبداع والتركيب، ولن تتوافر عناصر القصة كاملة في غير قصص القرآن **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾**.

٣ - جواز أن يحدث الإنسان من يحب بما رآه، وبما يحصل له من الخير، عسى أن يظفر منه بدعوة يفتح لها الباب، وتكون سببًا لسعادته في الدنيا والآخرة.

٤ - إذا ابتلي الإنسان بمصيبة فليصبر، وليعلم أن الأنبياء وهم أفضل الخلق ابتلوا بلاءً عظيمًا فصبروا وظفروا بالأجر العظيم من الله.

٥ - من أعطي فراسة التأويل فقد أعطي خيرًا كثيرًا، فليتق الله فيما يقول.

٦ - براعة الأسلوب القرآني الماتع الشائق في عرض القصص، ففيه الاختصار والإبداع والكفاية والرمز، أما التفاصيل فهي لذوي الألباب، والراسخون في العلم.

٧ - في قصة يوسف وإخوته آيات لمن يسأل عن الصدق والتضحية والخوف من الله والصبر على المصائب، وعدم الجزع أو التشكي.

٨- من كان الله - سبحانه - معه فلا يخف، فإن الله - سبحانه - لا يضيع الوديعة إذا استودعها المسلم إياه، فاستودع الله نفسك وقلبك، واسأله أن يحفظك ويهديك وينصرك ويؤيدك.

٩ - القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والمحبة من الله؛ لذلك فليس من الغرابة أن تجد الأب يميل إلى ابن من أبنائه دون الآخرين؛ إما لتميزه ونجابته وذكائه، أو لبره إياه.

١٠ - حرمة الكذب، وتعظم حرمته إذا كان فيه غشٌ وتدليسٌ على الوالدين.

١١ - حث المؤمن على قــول: «لا حــول ولا قــوة إلا بالله» عند المصائب.

١٢ - إرشاد المسلم إلى الصبر وعدم الجزع عند المصائب، قال تعالى على لسان يعقوب: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾.

١٣ - لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾.

١٤ - وجوب قَدْر أهل العلم قَدْرهم واحترامهم وتوقيرهم وإكرامهم ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا**﴾.

١٥ - إن التمكين في الأرض يكون للأولياء والصادقين مع الله في السر والعلن.

١٦ - الله - سبحانه وتعالى - يبتلي المؤمنين على قدر أعمالهم؛ لذلك نجد أن أشد الناس بلاءً الأنبياء فالأمثل فالأمثل.

١٧ - النفس البشرية أمارة بالسوء، وتضعف في مواطن الخلوة، فاحرص على تحصين نفسك بالأذكار والأدعية، والنفس إذا لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

١٨ - احفظ الله في مواطن الرخاء يحفظك في مواطن الشدة. «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك».

١٩ - تحريم الغيبة والنميمة والسعي بالحديث في أعراض الناس، فإن هذا مما يجب الحذر منه، والابتعاد عن مجالسته. قال تعالى: ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

٢٠ - حث المسلم على ذكر الله في كل المواطن ولا سيما إذا رأى ما فيه بعض إخوانه من الخير والإنعام والصحة والجمال. وليسأل الله من فضله، وليستزد وليكثر، فإنما يسأل كريماً.

٢١ - إذا ابتلي المؤمن بدينه فليصبر وليؤمل بالأجر من الله - سبحانه - حتى لو كان بديل ذلك السقم بعد الصحة، والسجن بعد الحرية، والذل بعد العز.

٢٢ - على المسلم أن يختار النصرة لهذا الدين ولو كان ثمن ذلك الصحة والنفس والمال.

٢٣ - حث المسلم على ملاطفة الآخرين والضحك معهم ومؤانستهم إذا كان ذلك فيه تآلف وترابط وتعاون أو حتى ترغيبٌ في الإسلام.

٢٤ - إذا سئل الإنسان عن مسألة يعرفها ويعلمها فلا يكتمها، وليدعُ إلى الله بكل ما يستطيع.

٢٥ - حث المسلم على تَصَيُّد الفرص المناسبة لجمع الناس على كلمة سواء، «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

٢٦ - على المسلم أن يبذل المزيد من الوقت والمال والنفس لتصحيح المعتقد الديني قبل تصحيح أي شيء آخر، وليبذل أكثر ذلك مع الأعاجم وصغار السن.

٢٧ - الجأ إلى الله في الرخاء والشدة فلا ناصر لك إلا هو سبحانه وتعالى. جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال له: إلى من تدعو؟ قال الرسول ﷺ: **إلى الله**، قال الأعرابي: مَن الله؟ قال الرسول ﷺ: «**إذا أصابتك سنة شهباء فدعوته كشف عنك، وإذا أصابتك سنة قحط وأجدبت الأرض، ومات النبات وأقحطت الأرض فدعوته كشف عنك**».

٢٨ - أفضل ما مدح به البارئ هو ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ وفي المسند أن أسود بن سريع جاء إلى الرسول ﷺ، قال يا رسول الله؛ إني مدحت ربي بقصيدة، قال عليه الصلاة والسلام: أما إن ربك يحب المدح.

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد
لعزة نفس أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره
فقال اشكروني أيها الثقلان

٢٩ - احذر ممَّا تكتبه واتق الله فيما تكتب. فكل سيحاسب ولو كان مثقال ذرة.

فــلا تكتب بكفك غـــيـــر شيء

يســـرك في القـــيــامـــة أن تراه

٣٠ - التعظيم لله - سبحانه وتعالى - هو الخالق الرزاق المتفرد بالبقاء، أما ما يُعظم من البشر وأجناس الخلق فهذا من ضعف العقول، وسخف النفوس، وضعف التوكل، وحضور التواكل، فكل شيء هالك إلا وجه.

٣١ - ادعُ الله بأسمائه الحسنى الشرعية، فلا يجوز أن تسمي الله بغير أسمائه التي في الكتاب والسنة التي ثبتت عن الرسول ﷺ، فلا تسم الله إلا بأسمائه التي سمى بها نفسه، ولا تصفه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، يقول الشافعي: آمنت بالله، وبما جاء من الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله.

٣٢ - على المسلم أن يدرك تمامًا أن لا معافي إلا الله، لا رازق إلا الله، لا محيي إلا الله، لا مميت إلا الله، لا يفك الأسير إلا الله، ولا يفرج الكربة إلا الله، فمن شكى واشتكى لغير الله فهو في ضلال مبين.

ولنا في قصة أهل الغار المثل الأكبر، ففيها الاعتقاد الصحيح، والالتجاء الصادق، فضلاً عن قصص الأنبياء والأولياء والصالحين.

٣٣ - على المسلم أن يكثر من الاستغفار على كل أحواله، فعن أبي داود - رضي الله عنه - قال: «**من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**».

٣٤ - الرؤى لها حقيقة، وهي على أقسام: قسم من الرحمن، وقسم من الشيطان، وقسم أضغاث أحلام، فالتي من الرحمن هي المبشرات، فأخبر بها من تحب فقط، وأما التي من الشيطان، فهي الرؤى المفزعة المرعبة المخيفة فلا تخبر بها أحدًا، وأما أضغاث الأحلام، فهي التي تجري في الحياة، كأنها أمور عادية فلا فزع فيها ولا خوف.

٣٥ - أصدق الناس رؤيا هو محمد ﷺ فقد كان يعبر الرؤيا فتأتي كفلق الصبح، وكان يجلس بالناس بعد صلاة الفجر، فيقول: أيكم رأى رؤيا، فيعبرها، فتأتي كفلق الصبح لا يتغير فيها شيء.

٣٦ - الدعوة إلى الله - عز وجل - من أعظم الأعمال الصالحة ومن أشرف مقامات العبودية للموحدين والمؤمنين، وهي طريقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن أراد الخير لنفسه ولمجتمعه فليكن داعيًا إلى الله - عز وجل - بالتي هي أحسن، وبالحكمة والموعظة. «**بلغوا عني ولو آية**».

٣٧ - يوسف - عليه السلام - لم ينس الدعوة إلى الله حتى وهو في السجن، فكيف بمن هو حرٌّ يملك المال والنفس والصحة.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

٣٨ - الدعوة إلى الله - سبحانه - قد لا تكون باللسان فقط، بل بالأخلاق والتعامل والصدق مع الآخرين «فعامل الناس كما تحب أن يعاملوك».

٣٩ - الله - سبحانه وتعالى - يسوق المبشرات، ويهيئ أسباب النصرة والعزة والتمكين لعباده الصالحين حتى ولو كانوا في الزنازين.

٤٠ - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أفضل منزلة بعد النبوة هي الصديقية ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾.

٤١ - يوسف - عليه الصلاة والسلام - أراد أن يثبت براءته فرفض الخروج من السجن عندما دعاه الملك، وهذا يؤكد صدقه وصبره واحتسابه الأجر من عند الله.

٤٢ - يقول بعض أهل العلم: تمر بالعبد نفوس ثلاثة، مرة تأمره، ومرة تلومه، ومرة مطمئنة، فأما الأمارة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وأما اللوامة فقد قال تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. ومرة مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

﴿٢٧﴾ **ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴿٢٨﴾ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴿٢٩﴾ **وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ نسأل الله أن يجعل أنفسنا مطمئنة.

٤٣ - لا تفتخر ولا تباهي بما فعلت من طاعات أو صبر أو احتساب، فالافتقار والانكسار خير من الصفاء مع العجب، تفتقر إليه سبحانه، قال سعيد بن جبير - رضي الله عنه - في كلمة شرحها ابن تيمية - رحمه الله - واستحسنها، قال: رب خطيئة أدخلتك الجنة، رب طاعة أدخلتك النار، قال ابن تيمية في معنى كلامه: «رب رجل ارتكب معصية وخطيئة فتاب وانكسر، وأناب وبكى وتأسف فأدخلته الجنة، ورب رجل فعل طاعة فباهى بها، وتكبر وأعجب فدخل بها النار».

٤٤ - على المسلم ألا يتكبر لنفسه أو يختال في مشيته وعليه بالتواضع فهو سمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وقد قال الحسن البصري: «حق لمن يذهب إلى الخلاء ثلاث مرات كل يوم أن يتواضع لربه». ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾.

٤٥ - من الأمور الواجبة على المسلم أن يعفو ويصفح، ولنا مع قصة يوسف - عليه السلام - وقفة، فهو وصفح عن امرأة العزيز وعفا عنها، وعفا عن إخوانه، وعفا - عليه السلام - عن كل شيء وصفح فآتاه الله - عز وجل - عِزّاً بسبب هذا، كما صح عنه - عليه الصلاة والسلام -: «**وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عِزّاً**».

وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: «تسعة أعشار حسن الخلق التغافل».

٤٦ - يجب على المسلم ألا ييأس في الدعوة إلى الله، بل يبذل جهده، ويسأل الله التوفيق، فيوسف - عليه السلام - لم ييأس من الدعوة إلى الله، وكان ثمرة ذلك إسلام امرأة العزيز، فهي التي أرادت أن تكون سببًا لهلاكه، فكان سببًا في هدايتها.

٤٧ - يجيء القصص في القرآن تسلية للنبي ﷺ وتذكيرًا له بما حصل للأمم السابقة، ولتثبيت الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وقد يكون دليلاً على إثبات نبوته، وأنه يوحى إليه كما سبق في أولها.

٤٨ - من فوائد قصة يوسف - عليه السلام - جَعْلُ يوسف قدوة لنا في الدعوة إلى الله والصبر، والاحتساب، والعفو عند المقدرة، وقد قيل: أفضل عفو ما كان عند المقدرة.

٤٩ - في قصة يوسف كثير من القيم التربوية والخلقية ففيها، الدعوة إلى الله، والصبر، والالتجاء، والعفاف، والتوبة، والعفو، والصدق، والاحتساب، والتربية، والتوجيه، إلى غير ذلك.

٥٠ - أحسن الحديث، وأحسن المواعظ، وأحسن القصص هو القرآن الكريم، فاعتصم به، وتدبر تلاوته، واعمل بما فيه، وتبرك به فإنه نجاةٌ في الدنيا والآخرة.

٥١ - يجوز للإنسان أن يطلب المنصب، إذا كان مصلحة له وللمسلمين، فالإنسان إذا آنس في نفسه رُشْدًا في دائرة أو مكان وعلم أنه أهل لذلك بعلمه وثقافته وفهمه، فله أن يطلب ذلك، شريطة أن يكون فيه خير وصلاح له وللمسلمين.

٥٢ - وجوب تزكية النفس للحاجة، قال أهل العلم: «إذا ابتليت ببلوة، أو نزلت عند قوم لا تعرفهم، فلك أن تزكي نفسك، لا للكبر، ولا للرياء ولكن القصد للتوصل إلى المصلحة الشرعية».

٥٣ - المحسن له العاقبة دائمًا، فمن أحسن في أموره، واتقى ربه، جعل الله -سبحانه - له العاقبة طال الزمان أم قصر، كما هو الحال مع يوسف - عليه السلام -، فإن الله جعل له العاقبة في كل أموره، لما اتقى ربه، وعلم بمقتضى الشرع الذي علمه - سبحانه وتعالى - فلا تيأس ما دام أنك محسن مع الله، واعلم أن العاقبة لك - ومعك، ولو أُصِبْتَ بحيف أو ظلم أو مصيبة، فالعاقبة ستكون معك.

٥٤ - أجر الآخرة أعظم، فالله لما ذكر الدنيا وتمكنها، وذكر الخزائن والملك، ذكر أجر الآخرة، فما عند الله - سبحانه - في الآخرة هو الأحسن، فيا بشرى الصابرين الصادقين.

٥٥ - جواز الاحتيال للمصلحة، بشرط ألا تحل حرامًا، ولا تحرم حلالاً، كما فعل يوسف - عليه السلام - عندما رد بضاعتهم إليهم، وعندما وضع الصواع في رحل أخيه، وذلك للوصول إلى الحقيقة.

٥٦ - وجوب إكرام الضيف، والنازل عليك، وهذه سيرة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام - فلابد أن تكرم ضيفك، وتهش في وجه، وتستقبله، وتقدم له ما عندك بلا تكلف ولا إسراف، لأن استقبال الضيف وضيافته من العمل الصالح الذي وصَّانا الله به - سبحانه - ووصانا به الرسول ﷺ، فقال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». ويؤخذ هذا من قصة يوسف - عليه السلام - لما أنزلهم وأكرمهم، وزادهم في الكيل، ورد الثمن.

٥٧ - وجوب إيفاء الكيل، قال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾.

٥٨ - حفظ الله لأوليائه الذين يصدقون معه، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، فقد حفظ الله - عز وجل - يوسف - عليه السلام - في الجب وفي السجن وفي القصر، لأنه صدق وآمن وصبر فظفر.

٥٩ - عظم رحمة الله، وسعة حلمه، فلا تقنط الناس من رحمة الله، ولا تغلق عليهم هذا الباب، وافتح لهم باب الأمل، فإذا رأيت عاصياً فادعه إلى الله، وقل له: إن باب التوبة مفتوح، ورحمة الله وسعت كل شيء.

٦٠ - مشروعية طلب الكسب والرزق، وانظر إلى أبناء النبي يعقوب - عليه السلام - وهو يرسلهم من عنده إلى طلب الميرة من مصر، فعلى الإنسان طلب الرزق والعمل، وترك الكسل.

٦١ - شظف عيش الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيعقوب - عليه السلام - يرسل الجلود المدبوغة، وكؤوسًا مكسرة، وبعضًا من الدهن والسمن إلى مصر، ليأخذوا بدلاً منها القمح لأهله ولأسرته، وهم في مجاعة وقحط وشدة، وهو نبي الله، والملوك المعاصرين له كانوا يملكون خزائن الذهب والفضة، فانظر إلى تفاهة الدنيا عند الله، ولو كانت تعدل جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء.

٦٢ - قوله: ﴿**وَنَمِيرُ أَهْلَنَا**﴾ الإنسان بطبعه مفطور على حب المال، وهذا ليس مذمومًا، لكن المذموم الحب الذي يطغي صاحبه، ويصرفه عن الدين، ويرتكب بسببه المحرمات.

٦٣ - تأكيد العقود بالأيمان، وأنها لا تخالف الشرع، أي: الحلف على الشيء، وهذا نأخذه من قوله: ﴿**تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ**﴾. والرسول ﷺ شهد وطلب البينة، واستحلف وحلف.

٦٤ - على العبد أن يحسن الظن بالله، وفي الصحيحين: «**أنا عند ظن عبدي بي**» فحسن الظن بالله واجب شرعي، فإذا ظننت بالله أنه يغفر لمن استغفر، ويتوب على من تاب، وأنه يفرج الكربات، وأنه يجيب دعوتك إذا صدقت، وأنه أقوى الأقوياء،

وأنه أرحم الراحمين، وأنه أكرم الأكرمين، أعطاك الله ما تمنيت.

٦٥ – حرمة اليأس، وبخاصة الذي يوصل الإنسان إلى الضعف والانحطاط، وفي الحديث القدسي: «**يا بن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي**».

٦٦ – من صفة الأنبياء الكرام الصفح والعفو وعدم ذكر الذنب والخطأ أو التعريض به، فالكريم يصفح وينسى الخطأ ولا يذكره.

٦٧ – على العبد أن يعترف بخطئه أمام خالقه، قال أهل العلم: «إن الله يحب من العبد أن يقول: يا رب؛ أنا أذنبت، وأخطأت، واعترفت وقصرت؛ قال ابن القيم في مدارج السالكين: «فيأتيه النداء، وأنا غفرت لك وسترتك ورحمتك»».

٦٨ – على المؤمن أن يتقي الله ويصبر، فلا بد للعبد من عملين كريمين، الأول: أن يفعل المأمور، والثاني: أن يجتنب المحظور، وليزد الرضا بالمقدور، فإذا فعل المسلم ذلك وصل إلى منازل الأبرار الأخيار عند الملك الجبار، والكريم الغفار.

٦٩ – على المسلم أن يستدر رحمة الله وعطفه، بالصدق في القول والعمل، وطلب الرحمة في دعائه، والاعتراف بالخطأ أمام الله، والوقوف أمامه موقف الذليل المنكسر، وأن ترحم الضعفاء والفقراء وتتصدق عليهم.

٧٠ - على المسلم أن يذكر نفسه وغيره بنعم الله عليه - سبحانه وتعالى - فإن ذلك أدعى للخضوع والانكسار بين يدي الجبار، والتذكير مما يقوي الإيمان في النفس، والثقة في الخالق.

٧١ - على الإنسان أن يتواضع للواحد الأحد، فلا يعجب بعلمه، ولا بإنتاجه، ولا بما عمل وحقق من أشياء، فيوسف - عليه السلام - لم يفخر على إخوانه بملك مصر، بل عفا عنهم، وصفح وأنزلهم منزلاً كريمًا.

٧٢ - على العبد أن يدعو الله في الأزمات أكثر مما يدعو في وقت الرخاء، وأن يلح على الله - عز وجل - لأن الإلحاح طريق العبودية، وبخاصة في السجود، وأدبار الصلوات، وفي آخر الليل، وبين الأذان والإقامة، وفي ساعة الاستجابة يوم الجمعة، وفي عرفات، وغيرها من المناسبات.

٧٣ - على المسلم أن يعدل في تعاملاته وأعماله مع الآخرين فإن ذلك مما يزكي النفوس، ويقوي أواصر المحبة والترابط.

٧٤ - وجوب المساواة والعدل مع الآخرين، ومشاركتهم في الأعمال، فيوسف - عليه السلام - عندما وُلِّي الخزائن كان يشرف على العمال ويتابعهم ويعمل معهم.

٧٥ - الرأفة بالآخرين واحتساب الأجر عند الله، فيوسف - عليه السلام - رأف بكل من آذاه بدءًا بإخوانه وصولاً إلى امرأة العزيز، فكلهم رأف بهم ولم يطالب بمعاقبتهم، بل عفا عنهم وصفح واحتسب الأجر عند الله.

٧٦ - ما أرخص الحياة إذا لم تكن في طاعة الله - عز وجل -، ولقد كانت رخيصة تافهة عند يوسف - عليه السلام - وعند والده، وعند الأنبياء والسلف الصالح.

٧٧ - النصر مع الصبر دائمًا، ومهما تأخر النصر فإن الله وعد أولياءه به إذا هم بذلوا أسبابه، وصدقوا في القول والعمل.

٧٨ - الحسنات يذهبن السيئات، والمحاسن تغطي المساوئ، وعلى المسلم أن يكون منصفًا في حكمه على الآخرين، وليطلب الأجر والثواب من الله.

٧٩ - كن متسامحًا مع الناس، أحسن إليهم حتى وإن أساؤوا إليك، واجعل قدوتك في ذلك الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - الذين ظُلِموا وكذِّبوا، وضُيِّق عليهم، واستُهزِئ بهم، ومع ذلك صبروا فظفروا بالنصر، وعفوا وتسامحوا.

٨٠ - على المسلم أن يعتمد على الله الواحد الأحد في كشف الضر والبلوى عنه، فلا ناصر ولا معين ولا معافي ولا مشافي ولا خالق ولا رازق ولا معزَّ ولا مذلَّ، ولا كاشف الهم إلا الله، فلتصدق مع ربك.

٨١ - على المسلم أن يرضى بمرِّ القضاء؛ وهو الرضا بالقدر خيره وشره، وهذه سيرة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في حياتهم.

٨٢ - على المسلم أن ألا يَشْمت بالآخرين، وليحمد الله، فيوسف - عليه السلام - لم يشمت بما حل بإخوانه من فقر، وهم الذين ظلموه وعَقُّوا أباهم به.

٨٣ - يجوز للإنسان أن يتقي أعين الحاسدين، وأن يُعَوِّذ من يجب، فيعقوب - عليه السلام - قال لبنيه: ﴿**لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ**﴾.

٨٤ - التوكل على الله واجب في المنشط والمكره ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾.

٨٥ - على الإنسان إذا كان صادقًا وأن يدرأ عن نفسه الشبهات والتهم بما يستطيع من قول وفعل.

٨٦ - على المسلم أن يتوجه بشكواه إلى خالقه، فالشكوى لغيره مَذَلَّة، ويعقوب - عليه السلام - قال: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾.

٨٧ - جواز استخدام عبارات التقدير والاحترام إلى من بيده قضاء الحاجات الدنيوية، فإخوان يوسف وصفوه بقولهم: ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

٨٨ - على المسلم أن يكثر من الاستغفار لله له ولإخوانه المسلمين والدعاء لهم بظهر الغيب؛ حتى يُقال لك: «ولك مثل ذلك».

٨٩ - على المسلم أن يأخذ العبرة والعظة من قصص القرآن، وأن تكون دافعًا لزيادة الإيمان عنده ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾.

٩٠ - وجوب البُعْد عن إطلاق التُّهم جُزافًا على الآخرين، حتى يتضح الحق، وتستبين الحقيقة.